كانت تعطيها دروسا في الرسم والحفر .. « اريد ان اكون حرة . ان اعيش في عالم خلاق من صنعه . »

وناتي الى هذه الشخصية التي نالت من الشهرة ربما اكثر من اي من الابطال « لورنس » وهي شخصية « اوليفر ميلورز » حارس الاسطبل في « عشيق الليدي تشاترلي » فهي واحدة من الشخصيات الفذة في الادب الانجليزي بوجه عام ، وفي ادب « لورنس » بشكل خاص . وليس في ادب « لورنس » من وجد الخلاص والسلام عن طريق الحب مثل « اوليفر ميلورز » . هو رجل في الاربعين ، يخرج من طبقته الصغيرة كابن لحارس اسطبل فقير . ويحاول « ميلورز » الارتقاء بالحياة بذكاء قلبه وبصيرته وحبه للانسان . ويذهب الى الهند رفيقا لاحد الجنرالات الانجليز ، فينال حبه ، ثم يصبح كولونيلا في الجيش ، ولكن صديقه الذي دعاه يموت فجأة فيعود « ميلورز » الى انجلترا ليبدأ النضال من جديد . ويتزوج زواجا غير متكافيء تكون شريكته فيه امرأة مبتذلة ساقطة كرست ايامها الاخيرة للتشهير به رافضة الاتفاق معه على الانفصال . ولا نستطيع ان نتبين ما اذا كانت تفعل ذلك لشدة حاجتها اليه ، فهي امرأة شبقة تتمتع بحيوية هائلة، ام انها كانت تكرهه وتبغي محاربته والقضاء عليه ، ولكن « ميلورز » منذ ان تركها واخذ ابنته ليعيش مع امه العجوز ويبني لنفسه كوخا صغيرا في الغابة ، يبقى وحيدا بعيدا عن ذلك « الرعب الذي يكمن في الخارج » ويعمل حارسا للاسطبل في ضيعة « كليفورد تشاترلي » في « رجبى » .

و « كليفورد » رجل يملأه الحقد ، فقد اخاه وساقيه في الحرب، وبات عاجزا بعد زواجه من « كونستانس » بشهر واحد . ويدور صراع خفي بين الحياة والموت في « رجبى » بين « ميلورز » و « كليفورد » لا يعرف تفاصيله او يلم باطرافه الا « ليدي تشاترلي » زوجة « كليفورد » وصديقة « ميلورز » ويظل « ميلورز » حائرا بين قراره الحاسم بالاكتفاء بذاته والانعزال عن هذا العالم الشرير وبين الاغراء بالحب والخصب يتجسد امامه في « كوني » وهو نموذج للشخصيات الصارخة في رفضها للحضارة الحديثة ، واحتجاجها على عذاب الانسان الدائم فيها . ومثل « اورسولا » في « قوس قزح » يقرر ان يبقى وحيدا وان يصل الى السلام مع نفسه ومع الاخرين من خلال وحدته ، ولكنه امام « كوني » يجد نفسه مدفوعا بعنف الى تلقي الحب ومنحه ، والاستجابة الى نداء الحياة المتفجر في هذه السيدة . ويتبين « ميلورزا » بعد عناء طويل وكما يقول احد اصدقاء «كليفورد» في مناقشة عن الحضارة « ان حضارتنا في طريقها الى الانهيار ، انها تمضي بسرعة الى هاوية ما لها قاع ، وعبر هذه الهاوية ، صدقوني ان المعبر الوحيد هو الحب الانساني » .

* * *

وهذا الرفض المطلق الذي ابداه « لورنس » للحياة الحديثة بما تحويه في قلبها من بذور الشر والموت ، والذي انعكس بصدق وشاعرية بالغة على ابطاله واحداثه ونهاياته دفعه الى الاحتماء بفكرة الحضارات القديمة ومثالياتها وخاصة حياة الانسان من قبل والتي يجب ان يعيشها من بعد . ولا تعني الحياة البدائية في مفهوم « لورنس » ، التوحش ومعايشة الحيوانات ولكنها في جوهرها هي العيش على الطبيعة حتى يستطيع الانسان ان يطلق العنان لعواطفه وانفعالاته البدائية البسيطة، فلا يكون مقيدا بقيم العصر الحديث ، ولا يخضع للقواعد التي يفرضها على سلوك الانسان وحياته .

والجماعية في الحضارات الاولى لم تكن كما يرى د. هـ. لورنس الغاء لشخصية الفرد واعتباره صفرا ، لان الحياة الانسانية حينئذ بما واجهته من مخاطر وصعاب ، كانت شيئا ثمينا جدا ولم يكن تجمع الناس مجرد حشد آلي ، وانما كان احتماءهم ببعضهم البعض وتكاتفهم معا لمواجهة الخطر المشترك ، ولصنع الحياة المشتركة .

ـ التتمة على الصفحة ٦٠ ـ

القبر والشاعر

ألقيت نفسيك في كهوف الغيب تنتظر النهايه
ملقى بلا شفتين تحتضن الضباب
الفجر ظلله السراب
حتى الاغاني اصبحت بلهاء ... ذلت للغوايه
مات الربيع غدا رمادا
والعهود صدى روايه
جف الحنين الى الغد الفتان ... واختنقت رؤاك
تبكي على مجد ترنح وارتوى ظمأ الهوايه
تلهو بلا قلب .. وتلهث دون رايه
اسقطتها وتركت قافلة الضحايا
تجري على وهج النضال
تقتات من عطش الرمال
وتشتري بالروح نسمه
الواحة المعطاء ـ لا تشحذ خيالك ـ
لم تعد ابدا بعيده
ردت اليها الروح فاخضلت شجيرات وليده
عادت لمأواها النسور
ودق ناقوس البشائر
اورقت مقل جديده
الروض يطفح بالشذا
الروض لم يقتل وروده
والمجد رغم حرارة الكلمات لن يأتيك
في مجرى قصيده
والشعر لن يلقى به الجبناء ـ بعد اليوم ـ جسرا
يؤدي الى قصر الامير .. ويغمر الاعناق تبرا
الشعر نافذة القلوب
وخلفها الشعراء اسرى
يشقى بها الملونون ... ويهلكون اسى وذعرا
او قدت نارا فاحترقت
وقد وجدت الان ... نهرا !!
الشعر يحفر لو علمت لمن يخون الحرف قبرا
تفنى وتبقى مفخر الاصرار ذكرى
صلى لنفسك مزق الاجفان دمعا واكتئابا
لن يفتح الفردوس بابا
للهاربين وسوف تمضغك النهاية

بغداد — الفريد سمعان